الفصل العاشر
عنصر الزمن كمانع لتسوية الصراعات

دان زكاي وديدا فلياسيج

مقدمة

يعد الزمن بعدًا رئيسيًا في فهم الكون. عالم بلا زمن هو عالم جامد لا يحدث فيه شيء ولا يتغير فيه شيء.

يعد الزمن بعدًا حيويًا في حياة أي كائن حي وهو يؤثر في قدرته على البقاء ومواءمة نفسه بصورة مثلى مع بيئته (Michon,1985) الزمن هو أيضًا عنصر حيوي ورئيسي في حياة كل إنسان، منفردًا أو جزءًا في جماعة.

وبدون التعامل مع الزمن لا يمكن وصف الحياة في المجتمع الإنساني أيًا كان، فما بالك بالمجتمع الغربي التكنولوجي؟ (زكاي 1998).

يدرس هذا الفصل صورة التعامل مع الزمن وتأثيرات أخطاء حساب الزمن على خطوات التفكير وإجراءات المفاوضات، ويدرس إلى أي مدى تؤثر هذه العوامل على احتمالات تسوية الصراعات بين ممثلي ثقافات مختلفة عن بعضها البعض. في البداية أعرض مفهوم الزمن بصورة عامة وعلاقاته بشخصية الفرد والمجتمع. وبعد ذلك نستعرض انعكاسات بعد الزمن في الصراعات وإجراءات المفاوضات. ومن ثم ننتقل إلى دراسة مفهوم الزمن وأخطائه في الثقافة العربية الإسلامية من ناحية، وفي الثقافة اليهودية الإسرائيلية من ناحية أخرى. وعلى هذا الأساس نحلل التأثيرات

الناتجة عن أخطاء الزمن المختلفة في الثقافتين، بالنسبة لإدارة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

أنواع الزمن

هناك العديد من أنواع الزمن: الأساسي فيها هو الزمن الفيزيائي (زمن الساعة) والزمن البيولوجي والزمن النفسي.

الزمن الفيزيائي هو زمن موضوعي وموحد. يتم قياسه بالساعات على اختلافها ويعكس تغيرًا محددًا في عنصر فيزيائي محدد. هو زمن متواصل وذو معدل ثابت واتجاهه من الماضي إلى المستقبل.

الزمن البيولوجي يمثل وقوع أحداث بيولوجية تحدث في الكائنات الحية، ويتم التحكم فيه من خلال معدلات زمن بيولوجية وفسيولوجية. وتتشابه سماته مع سمات الزمن الفيزيائي.

الزمن السيكولوجي هو الزمن الذي يعبر عنه في الوعي وهو ما نركز عليه في هذا الفصل.

لكي نفهم تفردية الزمن النفسي، نفكر في الدقيقة الموضوعية التي تمر خلال الانتظار في الدور في مقابل الدقيقة الموضوعية التي تمر خلال قراءة كتاب ممتع. إدراك الزمن يكون مختلفًا في الحالتين.

في الحالة الأولى ينشأ إحساس زمن «زاحف» ومتواصل، بينما في الحالة الثانية ينشأ إحساس بأن الزمن يمر بسرعة، وقد تمر الدقيقة دون أن نشعر بالشيء بالمرة.

وبالتالي فإن الزمن النفسي ليس واحدًا. معدله متغير، وهو ليس متواصلًا بالضرورة، كما في الحلم أو في الهذيان يمكن أن يتدفق من المستقبل إلى الماضي، وماهيته يمكن أن تكون متأثرة بماهية الأحداث التي تقع داخله (زكاي 1998).

على سبيل المثال، تناول الأديب توماس مان تجربة الزمن في كتابه «جبل السحر» (1955) حيث وصف فيه واقع الزمن لدى مرضى السل الذين يعالجون في مصحة، أثناء قياس الحرارة اليومي لهم. القياس قصير بمفاهيم زمن الساعة، لكنه طويل في إحساس مرضى السل؛ لأن له أهمية بالغة في تشخيص حالتهم.

تعبيرات الزمن في اللغة، مثل «الزمن تجمد»، «الزمن جرى»، «الزمن زحف» «الزمن توقف عن السير» إلخ، تعكس تفردية واقع الزمن النفسي. وهناك نموذج آخر على تعقد الزمن النفسي تتجلى في الفارق بين الزمن «الاسترجاعي» والزمن «الاعتيادي». الأول يصف الإحساس بالزمن إلى «الخلف» بعد انتهاء الحدث الذي يمكن تقدير مدته. والثاني يصف الإحساس بالزمن الذي ينشأ أثناء وقوع الحدث انظر (Zakay & Block, 1997)؛ وبالتالي فإن واقع الزمن النفسي هو واقع مرتبط الاتصال.

ماهية الزمن

منذ فجر التاريخ الإنساني تعلم الناس وبحثوا ماهية الزمن وتفسيره. كانت العوامل الأولى لذلك هي توقعات التغييرات التي تحدث في اليوم، وتغيرات المواسم في السنة والدائرية التي تنعكس في دورة الحياة. وبعد ذلك بدأ الفلاسفة في الاندهاش من معاني الزمن بصورة أكثر عقلانية. ومع ذلك، دائمًا وأبدًا كانت ماهية الزمن غامضة وغير واضحة.

لقد أجاد الفيلسوف سانت أوجستين (St. Augustine) في القرن الرابع فهم ماهية الزمن، حيث كتب في كتابه «اعترافات»: «ما هو الزمن؟ حينما لا يسأل أحد فإنني أعرف؛ لكن حينما أريد أنا أن أوضحه فإنني لا أعرف».

كانت نتيجة القديس أوغسطين هي ليكن الزمن ما يكون ـ الزمن هو نتاج الوعي أكثر منه نتاج نظام التوقيت الموجود في الطبيعة أو في المجتمع بصورة طبيعية (Trautmann,1995).

زعم عمانوئيل كانت، الفيلسوف الألماني في القرن 18، والذي اهتم هو أيضًا بموضوع الزمن، أن الفضاء والزمن مفهومان بديهيان. أي، إنهما ليسا نتاج عملية إدراك حسي، وإنما موجودان في وعينا منذ البداية.

كما يقول جمال (2006) ترجع أهمية الزمن في المجتمع الإنساني أساسًا إلى إدراك البشر لنهائية حياتهم. هذا الإدراك يجعل تنظيم الزمن ومناورته مكونًا هامًا في أنماط السلوك الإنساني. الناس يتطلعون إلى ملء زمنهم بمضمون كجزء من رغبتهم في السيطرة عليه، واستغلاله إلى النهاية، وإطالته بل وحتى فرض إطاراته وحدوده.

وحتى الآن ما زالت مسألة ماهية الزمن موضوعًا للبحث الفيزيائي والنفسي والبيولوجي والفلسفي. ومن الواضح أن للزمن آثارًا على حياة الإنسان تقريبًا في كل أبعاد حياته، لأن الزمن هو جزء لا يتجزأ من أي حدث أو وقائع ومن أي واقع تجربة إنسانية، بصورة لايمكن فصلها (Flaherty & Meer, 1994).

ومع ذلك، فقد تم بحث ومناقشة معنى الزمن وآثاره على نشوء الصراعات واتجاهات تسويتها بدرجة أقل قياسًا بمجالات أخرى. وهدف هذا الفصل هو المساهمة في مناقشة هذا الموضوع سواء على المستوى الأساسي العام، أو في علاقته بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

الزمن والشخصية ـ منظور الزمن

التطرق للزمن هو أحد الخواص التي تعكس بناء شخصية الإنسان. ويتجلى ذلك في عدة أبعاد، مثل الخاصية المسماة «إلحاح الوقت» (Time urgence)التي تعكس

مدى خضوع الإنسان للإحساس بضغط الزمن في سلوكياته اليومية. هذه الخاصية مرتبطة بأنماط شخصيات تسمى Type Aو- Type B بل وحتى أنماط صحة نفسية (Gastorf, 1981) وسنركز هنا على البعد المسمى «منظور الزمن» Time perspective.

يتطرق منظور الزمن إلى التنظيم الذاتي للماضي والحاضر والمستقبل، وللوزن النسبي الذي يرجعه الإنسان له في رؤيته لمسار حياته (Macey, 1994). منظور الزمن هو إطار تعامل يقر النظام، والتنظيم والانضباط في وقائع الحياة (Boyd&Zimbardo, 2005).

يمكن توصيف الناس بأنهم ذوو منظور ماضٍ أو حاضر أو مستقبل. ووفقًا لذلك، يؤسس الناس سلوكهم على الماضي وعلى الحاضر وعلى المستقبل على التوالي (Karniol& Ross 1996). وبالتالي فإن المقصود هو بعد أساسي له تأثير بالغ على السلوك الإنساني - بعد يتشكل ويتأثر بالأحداث الشخصية، والاجتماعية والثقافية (Zimbardo & Boyd, 1999).

على سبيل المثال، نجد أن منظور الزمن لدى الناجين من أحداث النازي يميل لأن يعتمد بدرجة كبيرة على الماضي، قياسًا بالأشخاص أبناء نفس العمر الذين لم يعيشوا أحداث النازي (Lomrenz& Shmotkin, 1998). أحداث النازي نفسها تعتبر في نظر الناجين حدث ممتدًا على طول الماضي، بل وحتى من حيث «زمن الساعة» حدث استمر أربع سنوات «فقط». وعلى ما يبدو فإن كارثة هذه الأحداث هي التي أدت إلى تمركز الحياة على الماضي، وقد يكون منظور الزمن هو أحد العوامل التي تعوق كثيرًا من الناجين من أحداث النازي عن العودة إلى الحياة الناظرة إلى الحاضر والمستقبل.

يترك منظور الزمن لدى الإنسان أثره على أسلوب حياته. ويمكن القول بأن الإنسان الموجه أساسًا إلى ماضيه، يجد صعوبة في تخطيط المستقبل ويمكن

أن تدار حياته دون غاية أو هدف. وفي المقابل، الإنسان الذي يعيش فقط انطلاقًا من توجهات إلى المستقبل، يمكن أن يجد نفسه يعيش فيما يشبه الفانتازيا التي ليس لها أي أساس واقعي. تتطلب الهوية الشخصية المتوازنة، التي توفر حياة سليمة مع رؤية سليمة للواقع، توازنًا سليمًا بين التعامل مع الماضي والحاضر والمستقبل (زكاي 1998).

ويبرز تأثير منظور الزمن أيضًا في إدارة المنظمات. على سبيل المثال يشير (Thomas & Greenberger1998) إلى أن الرؤية التنظيمية تعرف بأنها تصور للمستقبل. وهما يعرضان نتائج بحث تظهر أن هناك ارتباطًا في العادات التنظيمية بين منظور زمن المستقبل والقدرة على بناء رؤية مستقبلية.

الزمن والثقافة

تعرف الثقافة من خلال منظومة الاعتقادات والمفاهيم لدى كل المنتمين إليها (Birx 2009) وتؤثر هذه المنظومة الإيمانية على اللغة وعلى نمط الحياة وعلى التصرفات.

التعامل مع الزمن وصورة مفاهيمه هي عناصر رئيسية نميز من خلالها بين الثقافات المختلفة والأبعاد السلوكية، مثل معدل الحياة، الدقة إلخ (Macey 1994) وبدون التعامل مع الزمن، والإيمان به وبتعبيراته في اللغة، يصعب أن نفهم السلوك الذي تتسم به أي ثقافة.

وبصورة بحتة، يمكن تقسيم الثقافات من حيث علاقتها بالزمن، إلى مستويين (وبهذا نظلم تنوع الثقافات، لكن قصر المساحة يتطلب منا هذا التقسيم).

المستوى الأول هو الثقافة الغربية التكنولوجية، والثاني هو مجمل الثقافات «غير الغربية»، مثل ثقافات الشرق والثقافات الوليدة في أمريكا الجنوبية وفي

أماكن أخرى، مثل قبائل الهنود التي سبقت السيطرة الغربية والذين يعيشون الآن أيضًا (هناك من يسمون الزمن المرتبط بهذه الثقافات «الزمن الهندي».

فيما يلي عدة فروق بارزة في تعامل المستويين المذكورين مع مفهوم الزمن:

- درجة التمييز بين الماضي والحاضر والمستقبل ـ التمييز واضح في الثقافة «التكنو غربية». التعبيرات اللغوية التي تصف الأزمنة المختلفة محددة جيدًا، والدقة اللغوية تحدد كيف تصرف الأفعال وفقًا للزمن الذي تصفه.
- يوجد في الثقافات «غير الغربية» في كثير من الأحيان توحد للماضي مع الحاضر أو الحاضر مع المستقبل. على سبيل المثال، في لغة قبيلة الهوفي الهندية لا يوجد بالمرة مصطلحات تمثل الماضي، والحاضر والمستقبل، ولا يوجد للأفعال تصريفات لأزمنة مختلفة.
- الثقافات «التكنو غربية» تعتبر الزمن موردًا اقتصاديًا. جوهر الزمن لا يرتبط بما يحدث فيه. الزمن محايد مع الإنسان ومنظور الزمن موجه للمستقبل. هذه الثقافة تركز على أهمية التخطيط والتدقيق.
- الثقافات غير الغربية لا تؤكد القيمة الاقتصادية للزمن وهو غير محايد مع الإنسان.
- منظور الزمن موجه نحو الماضي. في هذه الثقافة التخطيط والتدقيق ليسا بالضرورة قيمًا مركزية.

أوصاف مفاهيم الوقت، كما أوردناها سابقًا، تصف جيدًا الوضع الذي ساد في القرون السابقة.

ويصعب الآن وجود ثقافات «غير غربية»، بينما نجد أن الثقافة «التكنو غربية» تزداد انتشارًا.

ومع ذلك، فإننا نزعم أنه ما زال يوجد في الحياة أبعاد كثيرة، تأثير مفاهيم الوقت فيها كما أوردناه سابقًا في الثقافات المختلفة، ما زال عميقًا وملموسًا. أحد هذه الأبعاد هو صورة التعامل مع الصراعات والتسويات، وتفسير ذلك هو المشاعر والشحنة الانفعالية والقيمية العميقة المرتبطة بالصراعات وتجعل روافد عميقة في الشخصية «تطفو» وتؤثر على سلوكياتها. وسوف نمثل على ذلك لاحقًا.

الزمن والدين

مفهوم الزمن، باعتباره عنصرًا حتميًا في أي محاولة لتوضيح الوجود الإنساني، هو عنصر رئيسي وحتمي في منظومة الاعتقادات الدينية . (Birx, 2009).

وهناك أيضًا علاقة وطيدة بين الدين والثقافة. لذلك، يوجد في كل الأديان تقريبًا تناول للزمن وصورة رسم مفهومه.

وفي النهاية، حينما نحلل رؤية الزمن ومفهومه، لا بد أن نضع في الاعتبار الدمج بين الثقافة والدين. هذا الدمج له أهمية خاصة في محاولة فهم الصراعات التي توجد بها مكونات ثقافية ودينية. وحالة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني هي هذه الحالة.

بعد الزمن وانعكاساته في الصراعات وعمليات المفاوضات

نستعرض فيما يلي بعض آثار بعد الزمن على العمليات المتعلقة بالصراعات وإجراءات المفاوضات.

وفقًا لنوعيتها، تستمر الصراعات وإجراءات المفاوضات طول الوقت (Pruitt & Carnevalle, 1993) وبخلاف ذلك، يوجد للزمن تأثيرات مباشرة عليها ـ بعضها فنية ـ وتأثيرات غير مباشرة لكنها جوهرية (Druckman, 1994) ولا بد من

ذكر أن الصراع والمفاوضات هي إجراءات اجتماعية، يعد الزمن الاجتماعي عنصرًا رئيسيًا في رسم خطوطها (Elias, 1992).

هناك من يعتبرون الزمن إطارًا مفاهيميًا للتداخل الاجتماعي في الصراعات وإجراءات المفاوضات (Alon & Brett, 2007) ويعد تناول الزمن أحد أكبر الموانع في سبيل تحقيق مواءمة بين الثقافات جمال (2009).

من الناحية الاجتماعية، يعد تقسيم الزمن، وتصنيفه وجعله أداة تعامل مع الآخرين، منظومة متكاملة لعلاقات القوة بين الجماعات المختلفة. يفرض الشخص المصنف من خلال تقسيم الزمن نوعًا محددًا من العلاقات مع أشخاص آخرين، كما في تحديد الجداول الزمنية (Elias 1992). وبالتالي فإن الزمن بمثابة حد أو فاصل ثقافي واجتماعي وتحاول بعض قطاعات المجتمع فرض ترتيبات زمنية على قطاعات أخرى. على سبيل المثال، من خلال تحديد متى تطبق أيام الأعياد والراحات. لذلك من الطبيعي أن يصبح الزمن مصدرًا ومركزًا للصراعات (مثل، الصراعات على حفظ السبت بين العلمانيين والحريديم في القدس).

نموذج آخر للصراعات المتعلقة بالزمن وهو طريقة الانتظار في الدور. الدور هو منظومة اجتماعية يتنافس فيها المنتظرون في الدور على تقسيم الزمن، الذي يعد في هذا السياق موردًا محدودًا. لكن من الطبيعي أن تندلع في هذا الوضع صراعات وخلافات في الرأي حول تقسيم المورد (Fleisig, Ginzburg, & Zakay, 2009)؛ لأن هناك انتظارًا أساسيًا من جانب كل المنتظرين في الدور «لعدالة توزيعية» لمورد الزمن.

ظهر من الاستطلاع الذي تم على مدى 30 سنة بين عشرة آلاف ناضج، أن الاختلافات بين الزوجين في نظرتهما للزمن، هي عنصر بالغ الأهمية في نشوب الخلافات الزوجية (Zimbardo& Boyd 2005).

هناك نماذج أخرى تتعلق بالخلافات الناجمة عن المساس بالزمن كرمز ثقافي وديني. على سبيل المثال، حرب 73 التي اندلعت في يوم الغفران 1973 اعتبرت في الغالب مساسًا بمشاعر الشعب اليهودي نتيجة لاختيار أكثر الأيام تقديسًا في اليهودية لبدء الحرب.

تأثيرات مباشرة للزمن على إدارة المفاوضات

تعامل المتفاوضين مع الزمن

نظرًا لوجود فروق شخصية في التعامل مع الزمن، وهذا إضافة إلى الفروق الثقافية، يقابل الصراع والتفاوض بالضرورة أشخاص من كلا الجانبين لهما سمات مختلفة.

يحظى هذا الأمر بتعبير مباشر في تناول مديري المفاوضات أنفسهم للزمن، وذلك إضافة إلى الشحنة الثقافية التي تتجلى في التعامل القيمي مع الزمن، بصورة واعية أو غير واعية.

وبالتالي كلما كانت الفجوة بين مديري المفاوضات أكثر اتساعًا في تعاملهم مع الزمن، كلما زادت صعوبة إحراز تقدم بنّاء في المفاوضات.

والدليل على ذلك هو الفرق في درجة السرعة التي يعلقها المفاوضون على المفاوضات.

درجة السرعة في الزمن

من يخشى السرعة العالية في الزمن يريد أن يدير المفاوضات بمعدل أسرع ممن لا يشعر بهذه العجلة.

هذا الأمر له تأثيره على معدل الإدارة وعلى ضغوط الزمن (انظر فيما بعد).

النموذج على ذلك هو محاولة إيهود باراك، رئيس وزراء إسرائيل الأسبق، التوصل في مؤتمر كامب دافيد الثاني (2000) إلى اتفاق نهائي يكون معناه «نهاية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني» خلال فترة وجيزة. وفي المقابل لم يسرع الطرف الثاني (ياسر عرفات، رئيس السلطة الفلسطينية) بإظهار العجلة واستعداد مماثل في الزمن. ويمكن أن نفهم من وصف مساعده، جلعاد شير، أن باراك عمل من خلال إحساس بالعجلة. قال شير: لقد شعر باراك أن الزمن يعمل في غير صالح إسرائيل، وذلك نتيجة لخطوات عالمية وإقليمية، مثل انتشار الأصولية الإسلامية وتزود دول بالأسلحة غير التقليدية أو النووية. ومن هنا فإن نهائية الصراع ونهائية المطالب في أي موضوع، تمت للهدف الأهم بالنسبة لإسرائيل في المفاوضات (شير, 2001, ص 21) ويمكن القول بأن الإحساس بالعجلة هو الذي دفع باراك إلى وضع إطار زمني مدته 15 شهرًا لتحقيق تسوية دائمة (انظر فيما بعد). ومن المؤكد أن الفجوة في الإحساس بالعجلة بين عرفات وباراك كان لها تأثير على فشل المفاوضات.

تأثير ضغط الزمن

يمكن أن يؤثر ضغط الزمن على احتمالات إنهاء ناجح للمفاوضات وتسوية الصراع. ينشأ ضغط الزمن في المفاوضات حينما تكون هناك رغبة في التوصل إلى اتفاق سريع قدر الإمكان (Pruitt, 1981) كما أن وضع «مواعيد ـ نهاية» يزيد من الإحساس بضغط الزمن. هذا الإحساس له تأثيرات على خطوات إعداد ـ المعلومات واتخاذ القرارات التي تتجلى أساسًا في انتقائية استخدام المعلومات، واحتمالات عالية للأخطاء في التقديرات والحكم، وزيادة الأهمية المنسوبة للمعلومة السلبية قياسًا بالمعلومة الإيجابية (Zakay, 1993). بل إن ضغط الزمن يمكن أن يؤدي إلى انغلاق فكري متزايد، حيث إن الجانب الأكثر تأثرًا من ضغط الزمن في المفاوضات،

يمكن أن يجد نفسه يميل إلى التوصل إلى موافقة سريعة، مع تقديم تنازلات مغالى فيها (De) Dreu, 2003.

على سبيل المثال، يصف يوسي بيلين، في كتابه «مرشد للحمامة الجريحة»، مفاوضات طابا في يناير 2001. وحسب وصفه ساد بين المفاوضين إحساس بقصر الزمن، أي: الإحساس بأنه إذا لم يحققوا شيئًا سيمضي وقت طويل إلى أن يلتقوا، إذا التقوا. قال الدكتور نبيل شعث لبيلين: لو أن محادثات طابا أجريت بعد قمة كامب دافيد، لتم التوقيع على اتفاق نهائي (بيلين 2002 ص13). ويصف بيلين المفاوضات وكأنها أديرت في الساعة الخامسة والعشرين. كان ذلك بعد انتهاء فترة رئاسة كلينتون، وقبل عدة أيام من الانتخابات في إسرائيل، حينما احتجوا في اليمين وفي اليسار على شرعية المفاوضات. يلخص بيلين الموقف بقوله: «بالطبع كانت الساعة الخامسة والعشرين وكأنها لم تكن».

الزمن كمصدر قوة واستخدام الزمن بصورة تكتيكية

من يعتقد أن الزمن يعمل لصالحه ولا يشعر بالعجلة لإنهاء المفاوضات في زمن محدد وقصير، يميل إلى استخدام الزمن كمصدر قوة واستخدامه بصورة تكتيكية مع الخصم الذي يشعر بالإلحاح. تشيع في مثل هذه الحالات تكتيكات مثل التأجيل والإرجاء. في بحث معملي أجري عام 1982 وجد (Raiffa)، أن من له سيطرة عالية على الزمن وقدرة على التصرف بتروٍّ، هو الذي يملك احتمالات أعلى للتوصل إلى إنجازات قياسًا بمن سيطرته وتأنيه في الزمن أقل.

كما أن تأثير وضع التهديدات (والإغراءات) لأحد الأطراف في المفاوضات، مشروط بدرجة كبيرة بالتزامن.

حسب (Pruitt 1981) يعتبر التهديد الواضح المعروض في مراحل إنهاء المفاوضات أكثر إقناعًا ومصداقية عنه في المراحل الافتتاحية. ذلك لأن هذا التهديد يخرب العلاقات بين المتفاوضين في المراحل الأولى.

أحد التكنيكات التي تعكس استخدام التلاعب بالزمن خلال المفاوضات هو موضوع تحديد «مواعيد نهائية (deadlines).

تحديد المواعيد النهائية (Deadlines).

تحديد مواعيد الإنهاء هو تكتيك شائع في المفاوضات، بهدف التأثير على موقف الطرف الثاني.

تأثير مواعيد الإنهاء بالغ جدًا على من شك في أن الزمن يعمل في غير صالحه، وبخاصة حينما يكون موعد الإنهاء واقعيًا وحقيقيًا من وجهة نظره. مثل هذا الوضع يخلق ضغط وقت ويزيد من الميل الي تقديم تنازلات (De-Dreu, 2003).

يوجد في الأدب مناقشة لمسألة: إلى أي مدى يجب لطرف من الأطراف أن يظهر للطرف الثاني وجود «موعد إنهاء» بالنسبة له (Gino and Moore ,2008) ومع ذلك، في بحث تحليلي مشترك أجراه دروكمان (Druckman, 1994) ظهر أن تحديد أي إطار زمني هام لإحراز تقدم في المفاوضات. حينما لا تحدد أي حدود زمنية، يمكن للطرفين أن يجدا نفسيهما منغلقين في مواقفهما الأساسية ويمكن أن تصل المفاوضات إلى الجمود. ومن هنا يظهر أنه يمكن استخدام تحديد مواعيد إنهاء سواء كوسيلة لتحفيز المفاوضات أو كوسيلة للضغط على الطرف الثاني كي يقدم تنازلات. لكن تعين مواعيد إنهاء يمكن أن يستخدم أيضًا وسيلة تكتيكية لكسب الوقت حينما لا تكون هناك رغبة حقيقية للتوصل إلى حل. ونموذج ذلك هو إعلان يتسحاق شامير، رئيس وزراء إسرائيل، أنه مستعد لاستمرار المفاوضات حتى

إلى عشر سنوات، وسلوك بنيامين نتنياهو بعد أن اختير لرئاسة الحكومة وكان عليه أن يحدد موقفه من عملية أوسلو.

يصف يوسي بيلين (2002) أنه في المثلث مصر والأردن وفلسطين، وفي الولايات المتحدة وأوربا زاد الخوف من أن يكون لدى نتنياهو اهتمام بالوصول إلى تاريخ الهدف للتوقيع على اتفاق دائم 4 مايو 1999، في وضع متأزم ويدفع الفلسطينيين إلى الإعلان بصورة قاطعة عن دولة لا يعترف هو بها ويتخلص بصورة نهائية من اتفاق أوسلو. لأن إعلان منفرد كهذا يعد انتهاكًا قاطعًا للاتفاقات (ص35) يواصل بيلين في كتابه قائلا في ص37: إنه حتى يتم تجنب الوصول إلى إطالة زائدة للزمن، حدد الأمريكيون تاريخ هدف صناعي 4 مايو 1988 أي قبل عام من الموعد الأخير لتحقيق الاتفاق الدائم وفقًا لاتفاق أوسلو الأصلي، وأعلنوا عن أنه في هذا اليوم ستعقد في لندن قمة بمشاركة مادلين أولبرايت، وزيرة الخارجية الأمريكية، ونتنياهو وعرفات.

تتجسد إستراتيجية جذب الزمن من خلال استغلال تحديد مواعيد إنهاء، في مقولة توماس فيكرينج، نائب وزير الخارجية الأمريكي للشئون السياسية، في 19 يونيو: 1998 انتقلنا من السلام إلى شلاف (التراجع في لغة اليديش). والإحساس هو أنه في كل مرة يظهر فيها أمل جديد لاتفاق إسرائيلي فلسطيني، يجهض من جديد. لقد مر وقت غال وانتهاء التسوية الجزئية يقترب» (بيلين 2002 ص42) .

هناك نموذج آخر على استخدام تواريخ هدف هو إعلان إيهود باراك أنه خلال 15 شهرًا، أي في سبتمبر 2000 سيعرف ما إذا كان ممكنًا التوصل إلى تسوية دائمة مع الفلسطينيين أم لا. تحفظ الرئيس كلينتون من هدف خمسة عشر شهرًا وظن أنه مغالى فيه. يشير بيلين ص 75 إلى أن علاقة باراك بالزمن هي علاقة خاصة وتجلت في حبه الشهير لتفكيك وتركيب الساعات. تحديد تواريخ هدف كان سمة لرؤيته وتكرر على الرغم من أنه بصورة عامة لم يلتزم بها. ويشير بيلين أيضًا (ص87) إلى أن الفلسطينيين لم يفهموا أسلوب تواريخ الهدف الذي أقره باراك وشكوا فيه.

يدل رد فعل الفلسطينيين على التوتر الذي نشأ بين أطقم المفاوضات الإسرائيلي والفلسطيني في أعقاب اتجاه باراك إلى تحديد مواعيد وإطارات زمنية على الرغم من أنه لم يلتزم بها هو نفسه ـ وكما يقول بيلين (2001) أعرب الفلسطينيون عن تخوفهم من أن يكون هدف باراك إطالة الزمن حتى يصل إلى النقطة التي يكون فيها إجراء مفاوضات جادة متأخرًا جدًا بسبب جدول الأعمال السياسي في الولايات المتحدة وفي المنطقة. وأيضًا يقتبس جلعاد شير (2001) رد فعل عرفات على الإطار الزمني خمسة عشر شهرًا لتحقيق تسوية دائمة الذي عرضه باراك في 27 يوليو 1999. على حد قوله قال عرفات: «يمكنه أن ينسي من المفاوضات خمسة عشر شهرًا للتسوية الدائمة». ويبدو أن اختلاف هذه الرؤى بالنسبة لاستخدام مواعيد إنهاء محددة، هو من العوامل التي أدت إلى فشل عملية المفاوضات، لأنه أوجد عدم ثقة لدى الفلسطينيين بالنسبة لنوايا باراك في تحقيق اتفاق سلام.

يمكن اعتبار قرار الرئيس أوباما عقد مؤتمر ثلاثي في سبتمبر 2009 مع نتنياهو وأبو مازن، يعلن فيه عن استئناف مفاوضات السلام وعن توقعاته لتحقيق اتفاق خلال عامين، تجسيدًا لاستخدام تعيين مواعيد إنهاء كوسيلة لتحريك الخطوات ومنع الثرثرة. وينعكس ذلك في مقولة المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية، إيان كيلي: «نحن نأمل في تحقيق أي انطلاقة» (أخبار نعنع 10-19 سبتمبر 2009).

تأثير الزمن على بناء الثقة بين أطراف الصراع

يؤكد (Lewicki & Weithoff: 2008) أهمية الزمن في بناء الثقة في تسوية الخلافات.

فهما يؤكدان أن الثقة تنمو عبر الزمن. ونحتاج الزمن لكي يدرك كل طرف أن وعود الطرف الثاني قابلة فعلًا للتنفيذ وينطبق هذا أيضًا على تعيين موعد إنهاء.

إحدى مشاكل المفاوضات التي أجراها باراك في معرض عملية أوسلو، كانت غياب الثقة بين الأطراف. وعلى الرغم من ذلك حدد باراك إطارًا زمنيًا صارمًا خمسة عشر شهرًا لإنهاء المفاوضات. بن عمي (2004: 465). يقول: إنه في ظل غياب الثقة يمكن الاعتقاد بأنه كان هناك خطأ في محاولة فرض إطار زمني غير واقعي، دون التطرق إلى ضرورة وجود عملية تدريجية لبناء الثقة بين الأطراف.

تعكس الاتفاقات الجزئية اتجاهًا إلى تمكين الأطراف من بناء الثقة بينهم. كانت التسويات الجزئية سمة لأغلب محاولات تسوية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وتحقيق اتفاقات أخرى بين إسرائيل والدول العربية. وأوضح نموذج على ذلك هو التسويات الجزئية التي تحققت مع مصر في 1974 و1975 ـ بوساطة أمريكية وأتاحت بعد ذلك حضور الرئيس السادات إلى القدس وإقامة السلام الإسرائيلي المصري. كما أن اتفاقات أوسلو الأصلية، التي تمت صياغتها في إعلان المبادئ الذي تم التوقيع عليه في البيت الأبيض في 13 سبتمبر 1993 قائمة على الحل التدريجي متعدد المراحل، القائم على انسحاب إسرائيلي من مناطق في الضفة الغربية وقطاع غزة ونقل الصلاحيات تدريجيًا في هذه المناطق إلى إدارة ذاتية فلسطينية لفترة انتقالية قوامها خمس سنوات، يتحقق في نهايتها الاتفاق الدائم.

تأثير البعد الزمني (Temporal Distance) بين موعد المفاوضات وموعد التطبيق المخطط لاقتراحات تسوية الصراع.

وفقًا لنظرية «بناء الوقت» (Construal (Trope & Liberman, 2003 Temporal يبني الأشخاص هياكل بناءات ومناظير موضوعية ويرون الأحداث بصورة مختلفة، وفقًا لابتعادهم النفسي. وبصورة عامة، حينما تكون المسافة كبيرة، يكون التعامل على مستوى عال ومجرد، مع اهتمام أقل بالتفاصيل؛ وتعد وجهة النظر عالمية وتتعامل مع الجوهر. حينما تكون المسافة النفسية قصيرة، فإن صورة البناء والمناظير تكون عكسية وتركز أكثر على التفصيلات.

نظرًا لأن بعد الزمن هو نوع من المسافة النفسية، فإن مبادئ البناء والمناظير تنطبق أيضًا على الموضوعات والأحداث التي تحدث خلال فترة زمنية قصيرة أو طويلة (Trope & Liberman, 2000).

وفقًا لتوقعات نظرية «هيكلة الزمن» وجد باحثون (Uptigrove, & Okhuysen, Galinsky 2003) أن الأطراف التي حاولت تحقيق اتفاق، نجحت أكثر حينما كان الحديث عن تنفيذ الاتفاق على مدى عام، مقارنة بالوضع الذي أقر فيه تطبيق الاتفاق خلال أسبوعين. ووجد آخرون (Henderson, Trope & Carnevalle, 2006) ميزة في تحقيق اتفاق بعيد التنفيذ، مقارنة بتحقيق اتفاق قريب التنفيذ. والسبب في ذلك هو أن الاهتمام بأحداث بعيدة في الزمن يتم على مستوى تجريد عال، لا يدخل في التفاصيل. ولذلك يسهل جدًا الاتفاق على حل يصاغ على مستوى تعميمي ولا يدخل في تفاصيل عملية.

ومع ذلك، لا بد من ذكر أنه يتبقى دراسة ما هو مصير «الاتفاق» حينما تقترب الأطراف من موعد تنفيذه؟ وهل سيصمد، أم ستبدأ الأطراف في التعامل أيضًا مع التفصيلات والمشاكل الحاسمة التي تجنبوها قبل ذلك؟

مفهوم الزمن ومنظوره في الثقافة العربية الإسلامية

الثقافة الإسلامية في المجتمعات التي تتحدث العربية، تغوص عميقًا في المبادئ الإسلامية والاعتقادات الدينية المؤسسة له.

يحتل مفهوم الزمن مكانًا هامًا في هذه المنظومة الدينية الثقافية (لاستعراض أكثر شمولًا انظر: Alon & Brett, 2007.).

وفقًا للسمات الواردة أعلاه حينما نفرق بين الثقافات بمنظور الزمن ومفاهيمه، يمكن الإشارة إلى أن الثقافة الإسلامية تعد من الثقافات التي تتعامل مع الزمن

على أنه «زمن أحداث» أو زمن كيفي وتعلق أهمية أقل بكثير على الزمن الكمي وزمن الساعة.

اعتبار الزمن موردًا اقتصاديًا تقاس قيمته بالمال، لا يعد ثمة لهذه الثقافة. فهي تنظر إلى الزمن بدرجة كبيرة باعتباره عملية دائرية.

الزمن نفسه قوة ذات طاقة موجهة لمصير الإنسان وتؤثر عليه. هناك تمييز بين الزمن الأرضي - وهو زمن بقاء الإنسان على الأرض- والزمن الإلهي، وهو زمن ما بعد الموت. لكن الإنسان يعلق أهمية على نوعي الزمن، لأن الزمن يوحد الوجود الأرضي مع الوجود السماوي، الذي يعد الأكثر هيمنة وأهمية. الزمن نفسه تحت سيطرة كاملة من الإله وغاية وجود الإنسان هي الوصول إلى الخضوع المطلق لله. تؤكد الثقافة الإسلامية قيمة الصبر والانتظار وتمتدحها، وتنظر بصورة سلبية إلى العجلة. وبالتالي فإن هذه الثقافة لا تتبني «العجلة في الزمن». فالصبر من السمات الهامة للمؤمن المسلم وتجلى في عدة مجالات: الصبر في السجود لله، الصبر والجرأة في تجنب الخطأ، والصبر في أوقات الامتحان.

وكون الثقافة الإسلامية قائمة على الإيمان الديني، الذي يعد أساسًا لأي سلوك، يبدو أن مناظير الزمن في الثقافة العربية الإسلامية هي في الأساس مناظير ماضوية (انظر فيما بعد).

مفهوم الزمن ومنظوره في الثقافة العربية الإسلامية وآثارهما على إدارة المفاوضات

يورد كل من (Alon & Brett 2007) عدة آثار على رؤية الزمن ومنظوره في الثقافة العربية الإسلامية في صورة إدارة المفاوضات.

على أساس ميزة الصبر، لا يوجد أي سوء في إرجاء وتأجيل إجراءات المفاوضات. يتعلق ذلك أيضًا بالإيمان بأن الزمن يعمل لصالح المؤمنين بالإسلام، ذلك لأن الله سيأتي بجميع البشر في نهاية الأمر إلى مظلة الإسلام. إضافة إلى ذلك، زمن المؤمن ليس فقط زمنًا «علمانيًا» أرضيًا، وإنما هو أيضًا زمن الهي وأبدي. والمعنى العملي لهذه الرؤية هو أن تدار المفاوضات بهدوء وصبر ـ الأمر الذي يحول دون تقديم تنازلات ويتيح امتصاص آثار إرجاء العملية.

تستبعد هذه المنظومة الإيمانية وضع إنذار وتحديد مسبق «لمواعيد إنهاء» من جانب الطرف الثاني. يستخدم الماضي معيارًا وإطارًا للتعامل في المفاوضات، ويتم الاستخدام البالغ في الخطوات التاريخية وتضخيمها. وعلى العكس من ذلك، تعتبر الرؤية المستقبلية والتخطيط إشكاليات، لأنهما يعتبران تدخلًا إنسانيًا في خطوات خططها الرب، الذي يسيطر على المستقبل. وهذا هو السبب في أن الالتزامات والوعود لا تفسر في كل ما يتعلق بمواعيد تنفيذها.

الهدنة أو التهدئة «قصور» في فهم مفاهيم الزمن

لقد ذكر من قبل أن تعبيرات الزمن الموجودة في اللغة تعكس التعامل مع الزمن وصورة إدراكه في الثقافة المعنية. حينما يحاول طرفا الصراع الارتباط أثناء المفاوضات بالمشاكل المتعلقة بالزمن ـ فإن الفهم الكامل لكل طرف لثقافة الطرف الآخر هو شرط جوهري لتحقيق اتفاق ثابت ومقبول.

يتجلى نموذج الوضع الإشكالي الذي يرجع بدرجة كبيرة إلى عدم الفهم الثقافي لمفاهيم الزمن، في المناقشات بين إسرائيل وحماس في غزة حول تنفيذ ما يسمى بالعربية «هدنه»، ويسمى في إسرائيل «تهدئة».

مفهوم «الهدنة» هو مفهوم يدار فيه بعد الزمن. ومعنى كلمة «هدنه» هو «إسكات السلاح، فترة توقف، راحة». في التقاليد العربية الإسلامية، الهدنة ممكنة كفترة توقف مؤقتة من أجل إجراء مفاوضات بين الخصوم (موقع شبكة المعلومات الدولية لمعهد «رئوت» http : / / reutinstitute. org / he / publication) وبالتالي فإن الهدنة في جوهرها مؤقتة بل ويمكن أن تستخدم لتحسين المواقف القتالية، ولا يوجد بها أي إعراب عن استعداد لحل الصراع أو التزام بعدم انتهاك وقف إطلاق النار.

وهنا أيضًا تسود رؤية الماضي لمنظور الزمن. التطرق للهدنة هو وفقًا لسابقة اتفاق الهدنة الذي وقع بين النبي محمد وقبيلة قريش عام 628، لكن محمد انتهكه في عام 630 بعد أن استجمع قواه لاحتلال مكة. ويتجلى أيضًا منظور الإرجاء والتسامح في هذا المفهوم.

في المقابل لا يوجد صدى للزمن في مفهوم «هدوء»، وهو يدوي في الأذن كوضع ثابت. نجد أيضًا بين التفسيرات المعجمية لمصطلح «تهدئة»: اتفاق، معاهدة تتم انطلاقًا من رغبة طيبة واتفاق نهائي بين الأطراف (معجم إبن شوشان 1991) وما من شك في أن إحدى الصعوبات في إدارة المفاوضات لتحقيق «الهدنة» أو«التهدئة»، يرجع إلى فهم مغاير للزمن وآثاره العملية في الثقافات المختلفة.

الزمن ومنظوره في الثقافة اليهودية الإسرائيلية

حينما نحاول تحليل علاقة المجتمع اليهودي الإسرائيلي بمفهوم الزمن، علينا أن نتعامل مع وجود عنصرين: العنصر الإسرائيلي ـ العلماني والعنصر التقليدي الديني. هذان العنصران يمثلان بدرجة كبيرة عناصر ثقافية مختلفة. أيضًا يوجد في المجتمع الفلسطيني عناصر علمانية (فتح) وعناصر دينية (حماس وغيرها)، لكن يبدو أن تجانس وهيمنة القيم والاعتقادات المستمدة من الدين عالية جدًا في المجتمع الإسلامي العربي مقارنة بالمجتمع اليهودي الإسرائيلي. العنصر العلماني

الإسرائيلي هو جزء من الثقافة «التكنو غربية»، وفي هذا السياق منظور الزمن والتعامل معه مشترك بين الثقافة «الإسرائيلية» والثقافة «التكنو غربية».

بالنسبة للعنصر الديني، يشبه الدين اليهودي بمفاهيم كثيرة الدين الإسلامي، ويوجد أيضًا في اليهودية كثير من مناظير الزمن والتعامل معه التي يتسم بها الإسلام، وإن لم يكن بصورة كاملة وليس بنفس القوة (Birx, 2009)؛ وتأكيد الزمن كزمن إلهي والتفرقة بين الزمن الأرضي والزمن الإلهي، رغم أن هناك تناولًا للزمن فيما بعد الحياة على الأرض. في التقاليد اليهودية يوجد تعامل مع الزمن الكيفي (على سبيل المثال، التفرقة بين الزمن الديني والزمن العلماني) وهناك نظرية الدوائر، لكن أيضًا لا يركز عليها كما في الإسلام.

صحيح أن الله هو الذي يحدد الزمن في الأساس، وبالتالي أيضًا سيطرته على المستقبل، كما يظهر من التعبير السائد الذي يتناول المستقبل - «إن شاء الله». من ناحية تعد عناصر التعامل مع المستقبل جبرية، لكن مع إمكانية الاختيار الإنساني من ناحية أخرى، ويتجلى ذلك في التعبير المعروف «كل شيء متوقع والسلطة ممكنه»، المنسوب لربي عقيبه (مسيخت آفوت).

وأيضًا فإن الصبر والحذر من العجلة يظهران في اليهودية. على سبيل المثال، يورد حسيدي برسيليف عن ربيهم مقولة «لا تؤجل الساعة، وإنما كن صبورًا، لأن أي نجاح للإنسان مرتبط بالصبر» (من مقولة «لا تؤجل الساعة» لحسيدي برسيلاف). كما أن حركة حبد تنشر بين الأطفال والشباب قصصًا تهدف إلى تعزيز قيم مثل الصبر. تتحدث إحدى القصص عن الصديق ربي يتسحاق مواركه، الذي عرف بصبره العظيم (من شباب حبد موقع شبكة المعلومات الدولية لشباب أجودات حبد (Toratcha@ Chabad.org.il).

في مقابل ذلك، كما جاء أعلاه، يتسم المجتمع الإسرائيلي العلماني بمنظور زمن «تكنو غربي» وهناك دوائر كثيرة في اليهودية الدينية منخرطة في الحياة التجارية، والأعمال والعلم، تتبنى هذه الرؤية ولو جزئيًا على الأقل (يمكن أن نرى تجسيدًا للتوتر القائم بين رؤيتي الزمن في الصراع الدائر حول «زمن السبت» والمضامين المنفذة له).

يعرض عدة باحثين الانتقال من منظور زمن إلى آخر، كتغيير نموذجي يحدث في منظور الزمن في الفكر الصهيوني (إيزنشتات وليسك 1999). على حد قولهم أوجد الفكر الصهيوني منظور زمن حديث يشبه في جوهره منظور الزمن الغربي ويختلف عن المنظور البارز في الكتب المقدسة والتقاليد اليهودية. تزعم النظرة الجديدة أنه يمكن تغيير وتخطيط الواقع الاجتماعي من خلال التدخل الطوعي. وبنفس الروح يزعم جمال (2009) أن الرواية الصهيونية، الزمن اليهودي هو زمن دينامي ويتجلى في تخليص الهوية اليهودية القومية من أعماق التاريخ ووضعها في الرحلة التاريخية الحديثة. من ناحية أخرى، تتناول الرواية الصهيونية الزمن الفلسطيني بمفاهيم ستاتية تنعكس في مجال البدائية كسمة ثقافية جوهرية. ويعرض الفلسطينيون في هذه الرواية كمن يغوصون في الماضي.

ونقول: إنه حينما يكون المقصود موضوعات قومية ـ تاريخية كتلك التي تعد أساسًا للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، يظهر في المجتمع الإسرائيلي توتر ديالكتيكي بالنسبة للزمن. فمن ناحية تبرز الرؤية الاقتصادية، التي تعتبر الزمن موردًا اقتصاديًا لا بد من استغلاله وعدم إضاعته. هذا هو المنظور الذي يريد أن يرى نتائج سريعة، انطلاقًا من منظور زمن مستقبلي. والتعبير عن ذلك هو تشكيل حركة «السلام الآن» عام 1978 وهي الحركة التي يعبر اسمها عن الرغبة والحاجة إلى حل سريع بل وفوري للصراع. ومن ناحية أخرى، يتسم التعامل مع الصراع الإسرائيلي الفلسطيني بمنظور الماضي الذي يعكس تأثيرًا قويًا للدين والتقاليد. وأبرز تعبير عن هذا المنظور يتطرق إلى حق اليهود في أرض الآباء، بفضل الوعود التي أعطاها الرب لآباء الأمة في الماضي البعيد.

هناك عامل آخر يميل بمناظير الزمن نحو الماضي وهو ذكر أحداث النازي. أحداث النازي، التي لها تأثير عميق وقاطع على الرأي العام وعلى واضعي السياسات في إسرائيل، تعزز أيضًا من العلاقة بالماضي والحقوق التي يضفيها درس هذه الأحداث للشعب اليهودي.

ويمكن أن نرى نموذجًا على التوتر الموجود بين مناظير الزمن الماضية ومناظير المستقبل، في الخطاب المسمى «خطاب بار إيلان» الذي ألقاه رئيس وزراء إسرائيل، بنيامين نتنياهو ـ وهو خطاب مبدئي تعتمد عليه سياسة حكومته تجاه حل الصراع.

فيما يلي مقتطفات من الخطاب التي تعرض منظور الزمن الماضي:

«على أن أسبق بالقول: علاقة الشعب اليهودي بفلسطين مستمرة أكثر من 3500 سنة. الضفة الغربية، الأماكن التي سار فيها إبراهيم وإسحق ويعقوب وداود وسليمان، وإشعيا وإرميا ليست أرضًا غريبة علينا. إنها أرض آبائنا»... «حقنا أن نقيم دولتنا هنا، في أرض فلسطين، نابع من حقيقة واحدة بسيطة ـ هذا هو وطن الشعب اليهودي وهنا تشكلت هويتنا».

وهذا مقتطف من نفس الخطاب، يعرض منظور زمن المستقبل:

«إذا شابكنا أيادينا وعملنا معًا بالسلام، لا حدود للازدهار والتنمية التي يمكن أن نحققها لشعبينا ـ في الاقتصاد، والزراعة والتجارة والسياحة والتعليم ـ وفوق هذا وذاك القدرة على منح جيلنا الشاب مكانًا آمنًا يعيش فيه، وحياة هادئة مليئة بالعمل الخلاق مع أفق فرص وأفق أمل».

وفيما يلي تعبيرات عن التوتر بين منظور الماضي والمستقبل:

أيضًا حينما تحلق أنظارنا في الآفاق، يجب أن ترتبط أقدامنا بأرض الواقع، بالحقيقة. والحقيقة البسيطة هي أن عنصر الصراع كان وسيظل هو رفض الاعتراف

بحق الشعب اليهودي في دولة خاصة به في وطنه التاريخي (كما جاء في هآرتس 15-6-2009).

الوعي الفلسطيني بالزمن

لكي نكمل صورة منظور الزمن في نظر أطراف الصراع الإسرائيلي الفلسطيني نورد أيضًا تجربة الزمن اليومية التي يتسم بها الجمهور الفلسطيني في إسرائيل وخارجها.

يدعي جمال (2009) أن لدى الفلسطينيين وعيًا عميقًا بالزمن، ويعتمد هذا على الإحساس بإخراجهم من التاريخ، وتفريغ زمنهم وإرجائه». وعلى حد قول جمال أيضًا يعبر الفلسطينيون الذين يعيشون في وطنهم عن إحساس يومي بالمنفى من المكان ومن الزمان. في أعقاب أحداث 1948 («النكبة» بالمفاهيم الفلسطينية)، يشارك الجميع في الإحساس بالزمن المرجأ، الذي يوجد وضع الانتظار الدائم. ونتيجة لذلك أصبحت الزمنية «مساحة وعي فلسطينية».

مظاهر منظور الماضي في الجانب الإسرائيلي

منظور الماضي، الذي يتم التركيز عليه أساسًا في المعسكر الديني القومي، لكنه موجود أيضًا في وعي أغلب الجماهير الإسرائيلية، يؤكد بالطبع «حقنا في الأرض» كأساس لأي حل للصراع الإسرائيلي الفلسطيني. وأبرز تعبير عن ذلك هو الحملة الإعلامية التي نظمها مجلس الضفة الغربية تحت عنوان «قصة أي يهودي». تؤكد الحملة أن «كل شعب له قصته الخاصة وكل قصة لها مكانها. وقصصنا لها مكان. نحن لنا مكان: الضفة الغربية. قصة أي يهودي». تفسيرها: قصص الآباء والأمهات، الأنبياء والملائكة وقصص البطولة، كل هذه مبعثرة في حاضر كل واحد منا (انظر موقع http://www.jstory.co.il.) وتجدر الإشارة إلى التشابه بين هذه الأقاويل و«جزء الماضي» في خطاب بار إيلان الوارد أعلاه.

هناك نموذج آخر وهو تبرير موضع مستوطنة «آلون موريه» القريبة من نابلس، كما يعرض في موقع شبكة المعلومات صفحة مجلس الضفة الغربية وغزة. يتناول المدون هناك أن مدينة نابلس كانت دائمًا وأبدًا نقطة الالتقاء الأولى للأمة وآبائها مع أرضهم، وأن إبراهيم أبانا، حينما جاء إلى البلاد بأمر من الرب، مر بآلون موريه (زكاي 2005). وبالنسبة لتأثير ذكر أحداث النازي على اتجاه منظور الزمن إلى الماضي، نورد على سبيل المثال أقوال كبير ضباط التعليم في الجيش الإسرائيلي الأسبق (العميد إليعازر شطران) إن «أي ضابط في الجيش الإسرائيلي ملزم باعتبار نفسه ناجيًا من أوشفيتس... وذلك أيضًا لكي تكون أساليب عمله تقليدية ولكي يضمن أن أحداث النازي لن تتقادم (كول يسرائيل، ريشت ب، في الظهيرة 6-12-2004).

ينعكس أيضًا منظور الزمن الماضي في أقوال معارضي اتفاق أوسلو (بيجن2000)، حيث أثار هذا الاتفاق انتقادات حادة في دوائر اليمين. واتهم رابين بالتنازل عن جزء من الوطن التاريخي للشعب اليهودي وزعزعة أمن إسرائيل ومواطنيها.

مظاهر منظور الماضي في الجانب الفلسطيني

يتجلى منظور الماضي وهيمنته في الجانب الفلسطيني في الاعتماد على ادعاءات تاريخية، مع ربط مناقشات حل الصراع بأساطير قومية عربية. نورد على سبيل المثال وصف جلعاد شير (2001) لعلاقة عرفات بمسألة جبل المكبر في اللقاء مع وزير الخارجية آنذاك، شلومو بن عمي، الذي تم في نابلس في 25-6-2000. في مناقشة مشكلة القدس ذكر عرفات «العهدة العمرية» ـ الاتفاق الذي وقع في القدس عام 638 ميلادية بين الخليفة عمر بن الخطاب، الذي «احتل» فلسطين، والقائد البيزنطي سوفرينيوس. وفيه حظر الاتفاق إقامة اليهود في القدس. وهذا الوصف لأقوال عرفات جاء أيضًا لدى بن عمي (2004 ـ 487). على حد قوله قال عرفات في نفس اللقاء: إن استعداده لقبول يهود في القدس هو بمثابة تنازل عن نظام تاريخي راسخ ممن يعتبر

نفسه استمرارًا لعمر بن الخطاب. ويضيف بن عمي أن عرفات لم يكف عن اعتبار نفسه صلاح الدين الحديث، الذي سيحرر القدس من يد الصليبيين.

بصورة أكثر تعميمًا، يشيع في الجانب الفلسطيني اعتبار الصراع الإسرائيلي الفلسطيني استمرارًا للصراع الإسلامي مع الصليبيين. وتعرض الصهيونية كشبيهة بالصليبية وتسمى «الصليبية الجديدة في فلسطين». هذه المقارنة تعرض أيضًا تلميحًا للاعتقاد بالزمن الدائري وإمكانية إعادة عجلة الزمن إلى الوراء. في الأدب العربي حول هذا الموضوع نجد أنه «إذا كرر التاريخ نفسه ـ فإننا لا نخاف من الأزمات؛ لأن العرب الذين صدوا الدول الغربية كلها لن تنقصهم الوسيلة لصد أخلاط من الأغراب في الحاضر». ويبرز في هذه الرؤية أن العرب يعتمدون على الماضي حيث يأملون في أن يكون مصير الصهاينة مثل مصير الصليبيين (حسب بنبنشتي، 1993 ; 2003; Sedan, 1993).

التمركز حول الماضي كمانع لتسوية الصراع

الجدل حول عملية استيطان اليهود والفلسطينيين في فلسطين يعد أيضًا تعبيرًا واضحًا عن التمركز في الماضي وآثاره على الصراع، ويمكن أن نراه في الجدل حول مسألة: ماهي أصول المواطنين اليهود من ناحية، والفلسطينيين من ناحية أخرى، في فلسطين؟ بينما نجد أن الزعم الأساسي للصهيونية هو أن فلسطين هي وطن الشعب اليهودي، أجلي عنها، ومن هنا يأتي بالتالي حقه التاريخي فيها، نجد مزاعم أخرى بأن الشعب اليهودي لا يعد استمرارًا مباشرًا لليهود الذين عاشوا في فلسطين في الزمن الماضي. ونجد النموذج على ذلك في كتاب زند (2008) «متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟» الذي يزعم فيه أن الشعب اليهودي ليس استمرارًا مباشرًا لمواطني يهودا الذين أجلوا مع خراب الهيكل عام 70 ميلادية، وإنما هم نسل القبائل التي غيرت ديانتها إلى اليهودية في شمال أفريقيا ونسل إمبراطورية الخزر التي تهودت وأصبحت أساس يهودية شرق أوربا.

من ناحية أخرى، مناقشة مشكلة من هم الفلسطينيون محل خلاف. الأمم المتحدة وأغلب دول العالم تعرف الفلسطينيين الآن بأنهم المواطنين العرب في قطاع غزة والضفة الغربية (موريس 1987). ووفقًا للرؤية التاريخية الشائعة بين الفلسطينيين، كان للمواطنين العرب في فلسطين هوية قومية منفصلة ومميزة خلال الألف الأول للميلاد، وهناك من يزعمون أن جذور الشعب الفلسطيني تعود إلى القبائل الكنعانية التي عاشت في فلسطين في فترة العهد القديم (كيميرلينج ومجدال 1999). وفي مقابل ذلك توجد رؤية مختلفة، تدعي أن الفلسطينيين ليسوا أبناء قومية مميزة - وقد تجلى ذلك في الاقتباس الشهير عن أقوال رئيس وزراء إسرائيل، جولدا مائير (في 15 يونيو 1969) لا يوجد شعب اسمه الشعب الفلسطيني... وهناك زعم شائع في هذا الشأن يدعي أن عرب فلسطين الانتدابية هم في الغالب بدو رحل هاجروا من دول المنطقة في أعقاب تطوير المستوطنين اليهود والبريطانيين للبلاد.

دافعية النقاش واضحة، ناهيك عن أهميتها التأريخية. فهي تتناول مسألة من له حق تاريخي في فلسطين - اليهود أم العرب؟ لكن من وجهة نظر احتمالات إيجاد حل واقعي للصراع، لا معنى لهذه النقاشات. يعيش الآن في فلسطين عرب ويهود جنبًا إلى جنب. ويمكن أن يعتبر التركيز على المسألة التاريخية عملية تنحرف بمحاولات إيجاد حل عن المسار الرئيس الذي يجب أن تدار فيه - المستقبل - وليس الماضي.

نموذج آخر وأكثر تأكيدًا لوضع مانع أمام احتمالات تسوية الخلاف من خلال منظور الماضي، هو الجدل بشأن نشوء مشكلة اللاجئين العرب.

الجدل حول نشوء مشكلة اللاجئين العرب

يتركز الجدل الثاقب، الذي يعكس أيضًا منظور زمن الماضي في التعامل مع الصراع، حول مسألة أسباب نشوء مشكلة اللاجئين العرب. ظروف مغادرة اللاجئين محل خلاف. الموقف الفلسطيني الرسمي يتهم إسرائيل بسياسة الطرد العمدي، مع

ذكر عملية دير ياسين. ومن ناحية أخرى، نجد أن الموقف الإسرائيلي يزعم أن أغلب اللاجئين غادروا برغبتهم أو طردوا لأنهم اشتركوا في القتال.

وفقًا لرجب وأورن (1995) أحد الادعاءات هو أن قيادة عرب فلسطين المحلية هم الذين لم يوقفوا الهروب، وفي أغلب الحالات كانوا شركاء رئيسيين في الهروب. هذا الادعاء تدعمه على سبيل المثال جريدة الصريح الفلسطينية الصادرة يوم 30-3-1948 التي كتبت: «سكان قرية الشيخ مؤنس الكبيرة وسكان كثير من القرى الأخرى في منطقة تل أبيب، ألحقوا بنا العار جميعًا بهجرهم قراهم ومقتنياتهم وأطفالهم». وكتب (تلمي 1953) عن أن عرب صفت هربوا بعد أن توصلوا إلى نتيجة أنهم لا يقدرون على التغلب على اليهود. وتوصل إلى هذه النتيجة القادة العرب، وليس فقط جماهير المواطنين، وهكذا بدأ الهروب الكبير لاثنى عشر ألف من مواطني صفت العرب.

تشير جولدا مائير (1975) إلى أن قيادة الاستيطان أرادت تفصيلًا أن يبقى عرب حيفا (عن شمعوني 1988). وكانت الجامعة العربية هي التي دعت عرب فلسطين إلى ترك حقولهم وأراضيهم مع وعدهم بأن هذا التخلي مؤقت فقط وسينتهي خلال عدة أيام مع استكمال حملة العقاب العربية ضد إسرائيل. عرض أبا إيفن، مندوب إسرائيل لدى الأمم المتحدة، الموقف الإسرائيلي في الجمعية العامة للأمم المتحدة في 18 نوفمبر 1955 بقوله: إن مشكلة اللاجئين حدثت بسبب الحرب العدوانية التي انقضت فيها الدول العربية على إسرائيل عام 1948 لكي يمنعوا إقامة الدولة. وتزعم الرؤية الفلسطينية أن الطرد كان في الحقيقة إرهابًا إثنيًا موجهًا يعكس سياسة إسرائيلية رسمية. هذه الرؤية يدعمها عدد من المؤرخين الإسرائيليين «الجدد» مثل بني موريس (1987).

من المهم أنه في يوليو 2009 (عن هآرتس 23-9-2009، قسم التعليم والمجتمع) صدقت وزارة التعليم الإسرائيلية على كتاب تعليم التاريخ للمدارس الثانوية باسم

«يبنون دولة في الشرق الأوسط» تعرض فيه، جنبًا إلى جنب، ثلاث مزاعم بشأن نشوء مشكلة اللاجئين. يدعي الزعم الصهيوني الوارد في الكتاب أن «هروب الطبقات العليا قوض الروح المعنوية لدى المواطنين العرب في البلاد وأدى إلى انهيار معنوي وتفكيك الإطارات النفسية والتنظيمية. ولتحقيق ما بدا لهم شرطًا للدخول العسكري السريع والسهل دعا قادة الجامعة العربية «مواطني فلسطين» بالانتقال إلى الدول المجاورة. ليس فقط لأن هروب العرب وتوجيهه تم تنفيذه بمبادرة القيادات العربية، وإنما لأن قيادة الاستيطان اليهودي حاولت أكثر من مرة وقفه ومنعه». وفقًا للصيغة الفلسطينية كانت هذه فرصة تاريخية (لليهود) لتطهير فلسطين من العرب، واستبعاد الوجود العربي بمحوه. وكان الأسلوب هو الهجوم المباغت المكثف على المواطنين المدنيين الفلسطينيين الذي أضعف بالقصف المدفعي المتواصل. على المستوى النفسي المقصود رسائل متكررة وخطابات صادرة عن مكبرات الصوت تحذر من الأمراض ومن العقاب وتعرض مسارات هروب يمكن بها التهرب من الموت. وكذلك تعرض صيغة آنية وفقًا لكتاب بني موريس (1987): منحت الخطة (د) قادة الهجاناه في رتبة قائد سرية وقائد كتيبة مطلق الحرية في إفراغ مناطق حيوية من الناحية الإستراتيجية من سكانها، وسمحت لهم بطرد قرى معادية. وفسرت كل وحدة هذه التوجيهات وفقًا لفهمها الخاص، لكن لم يُتخذ من جانب عناصر سياسية قرار بطرد العرب من مناطق الدولة اليهودية.

في رأينا توجد قيمة تاريخية هامة لمناقشة هذه المسألة، ويساهم عرض كل الصياغات على تلاميذ المدارس الثانوية في الفكر الجمعي. لكن من زاوية رؤية إجراءات تسوية الصراع لن يأتي حل مشكلة اللاجئين من تبني هذه الصياغة أو غيرها عن نشوء المشكلة. لكن الجدل التاريخي يشكل مانعًا أمام الحل، لأنه سيؤدي بالتأكيد إلى تحديد فكري لدى كل جانب وفقًا لصيغته، ويحول دون إيجاد حل خلاق لمشكلة قد تكون رئيسية جدًا في بؤرة الصراع.

مساحة «زمن الوعي»

نعتزم الزعم بأن الأحداث النفسية للبشر تجري في مساحة ظاهرية من «زمن الوعي». هذه المساحة يعرفها منظور الزمن من ناحية، وصورة التعامل مع الزمن من ناحية أخرى. ومنظور الزمن هو الذي يحدد الميل إلى الماضي والحاضر أو المستقبل، بينما صورة التعامل مع الزمن هي التي تحدد ما إذا كنا أمام زمن كمي أم نوعي، بمفاهيم دافعية الزمن، والتعامل مع الزمن كمورد اقتصادي خطي في مقابل دائريات، وغير ذلك.

يستطيع الناس التحرك في مساحة «زمن وعيهم» الشخصي بتأثير نوع الحدث المعني، والخصال الشخصية والسياق. ويمكن على سبيل المثال، أن يوجد الإنسان في منطقة الماضي في الزمن النوعي ـ الدائري حينما يكون مستغرقًا في ذكريات حنين أو في حالة قتال. ونفس الإنسان يمكن أن يتحرك إلى منطقة المستقبل الاقتصادي حينما يخطط لمشروع اقتصادي، ويوجد في منطقة الحاضر في الزمن النوعي حينما يخطط لموعد ثابت للقاء قريب. يؤدي الوجود في مساحة زمن وعي في المنطقة التي لا تتناسب مع الأحداث التي يجب التعامل معها إلى سلوك غير فعال وغير متكيف. على سبيل المثال: الوجود في منطقة مستقبل الزمن النوعي يؤدي بالتأكيد إلى إضاعة اللقاء المخطط له. ومع ذلك، فكل إنسان له منطقة هيمنة في مساحة زمن الوعي التي يوجد فيها من الناحية العقلية بمعقولية عالية جدًا، مقارنة بمناطق أخرى في المساحة. أيضًا في وضع الصراع أو المفاوضات يوجد كل طرف من الأطراف في منطقة ما في مساحة زمن الوعي، وتتحدد هذه المنطقة وفقًا لخصائصه، وشخصيته، وثقافته، ودينه والسياق الخاص به. ويمكن أن نرسم أوضاع وجود الأطراف في منطقة زمن الوعي التي تسهل إجراءات المفاوضات، بينما يجد آخرون صعوبة فيها. هذا الموضوع في حاجة إلى بحث أكثر شمولاً.

نعرض في الشكل التالي مخطط ممكن لمساحة زمن الوعي، مع تعيين المكان الممكن للثقافات المختلفة وفقًا للتحليلات الواردة أعلاه. ويظهر من هذا الرسم أن هناك ثغرات في التعامل مع الزمن بين الثقافة المختلطة اليهودية ـ الإسرائيلية، والثقافة الإسلامية.

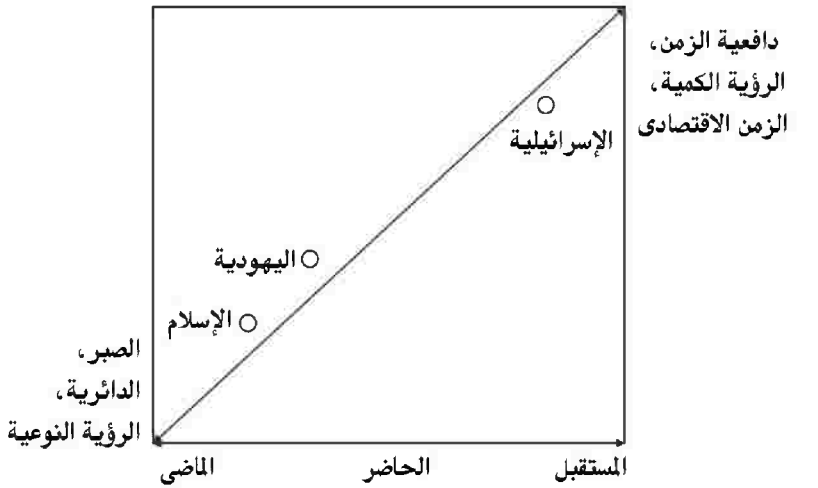

مساحة الزمن × الوعى

الصورة معقدة جدًا بسبب التوتر الداخلي الموجود بين مكونات الثقافة اليهودية الإسرائيلية نفسها. فعلى سبيل المثال، واضح أن الثقافة الإسلامية تركز على الصبر والدائرية والرؤية النوعية للزمن، بينما نجد أن الثقافة اليهودية الإسرائيلية ـ وبخاصة بسبب المكون الإسرائيلي ـ تركز أكثر على الزمن كمورد اقتصادي، ودافعية الزمن والرؤية الكمية له. وفي المقابل، توجد الثقافة الإسلامية والمكون اليهودي في الثقافة اليهودية الإسرائيلية في منطقة الماضي في مساحة زمن الوعي. المكون الإسرائيلي نفسه يوجد أكثر في منطقة المستقبل، الأمر الذي يوجد توترًا غير قابل للحل داخل المجتمع اليهودي الإسرائيلي ويصعب فهم الرسالة المنقولة من الجانب اليهودي الإسرائيلي إلى الجانب العربي.

لقد أوضحنا كيف عبر عن هذا التوتر في خطاب نتنياهو في « بار إيلان». ونزعم أن هذا التوتر يظهر أيضًا في رسالة غير موحدة تعتمد على منظور زمن الماضي وتتطلب منظور زمن مستقبل في التعامل مع الإصرار العربي على حق العودة.

الاختلاف في تحديد «مساحة زمن الوعي» بين إسرائيل وفلسطين، ينعكس في الاقتباس التالي عن بن عمي (2004-467): «باراك ونحن معه لم نتوقع تصفيق الجمهور الإسرائيلي، لكنا آمنا بأن الأجيال القادمة ستشكرنا، وسيبرر التاريخ ما فعلناه. وفي المقابل توقع عرفات أن يصفق له جمهوره في التو واللحظة. ويضيف بن عمي قائلًا ص 498: «كانت الرواية الإسرائيلية بناءة في أساسها. قصة بناء مجتمع، وخلق لغة حية، وتطوير مؤسسات وبنية قومية. وفي مقابل ذلك القصة الرائدة في الحركة الوطنية الفلسطينية هي النضال من أجل الحقوق المسلوبة، والبحث عن العدل الضائع، ورفع الظلم الذي حدث للاجئين والعودة بمعناها البسيط جدًا، عودة إلى شجرة التين وسياج الصبار، وكأنه يمكن إعادة عجلة التاريخ».

هناك رأي هام عن الثغرة في تموضع مساحة «زمن الوعي» يمكن أن نجده لدى الباحث الفلسطيني فؤاد عجمي (2009) في كتابه «قصر الأحلام العربية». وكنموذج على وضع الفلسطينيين، يصف عجمي موقف هشام شرابي، وهو مثقف أمريكي من مواليد فلسطين، كما يلي (ص 250): «تضع الذاكرة عائقًا أمام التسوية. أشباح فلسطين القديمة توبخ هذا السلام العملي. الذاكرة تكرس كل ما كان هناك قبل الضياع والهزيمة». ويقتبس عجمي عن شرابي: «أتذكر جيدًا بحر يافا. هذا بحر طفولتي. أنا لا زلت أستطيع أن أشم رائحته، وأتذوق ملوحته، وأشعر برياحه على وجهي».

وبتعارض واضح مع هذا الوصف، الذي يعكس الواقع في منطقة الماضي في مساحة «زمن الوعي»، يصف عجمي بصورة واضحة وجود إسرائيل في منطقة المستقبل، وربما أيضًا مستقبل متطرف أكثر من اللازم. حيث يعرض عجمي الجانب

الإسرائيلي عبر التطرق إلى سلام أوسلو ومهندسه شمعون بيريز (ص256) «لن يخرج سلام أوسلو فائزًا من ذلك لأن مهندسه الإسرائيلي شمعون بيريز، سوقه على أنه فجر عصر جديد للمنطقة وبشر بولادة «شرق أوسط جديد». رؤية بيريز رؤية مسيحانية في توقعاتها، هي عالم من الأسواق، عالم انتخابات سرية وحدود مفتوحة. صحارى الشرق الأوسط ستزهر، والاحتلال يخلي مكانه للتجارة، القوميات المتطرفة تفقد وضعها». ويبدو أن عجمي يشك في احتمالات مثل هذا المستقبل، لأنه لا يتسق مع منظور الزمن العربي.

الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني وانعكاساته على ساعة المفاوضات

يمكن أن نرى مما ذكر أعلاه أن تحليل منظور الزمن ورؤيته من جانبي الصراع، تظهر عدة مشاكل تصعب إحراز تقدم في تسوية الخلاف. فبينما نجد الطرف الفلسطيني يتمسك بإجراء مفاوضات بطيئة ولا يخشى من إرجائها ـ وذلك على أساس اعتقاد ديني بأن الزمن يعمل لصالح المؤمنين بالإسلام ـ نجد أن الجانب الإسرائيلي يعمل انطلاقًا من إحساس بضغط الزمن والآنية وانطلاقًا من رؤية التكلفة الاقتصادية الباهظة للزمن المنقضي.

لا يوجد أيضًا في الجانب الإسرائيلي ثقة في أن الزمن يعمل لصالحه، ويرجع ذلك بدرجة كبيرة إلى تأثير «الساعة الديموغرافية». وقد عبر عن هذا الإحساس في الاستطلاع الذي تم في أكتوبر 2009 ووجد أن 75% من الجمهور اليهودي في إسرائيل يؤيدون إجراء مفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين- وهو أعلى مستوى تأييد وجد في السنوات الأخيرة (يعر وهيرمان 2009). في نفس الاستطلاع وجد أن 46% من الجمهور اليهودي يعتقدون أن رئيس وزراء إسرائيل، بنيامين نتنياهو، يتحدث بصدق في قوله: إنه من ناحية إسرائيل يمكن البدء فورًا في مفاوضات حول تسوية

مع الفلسطينيين. وفي المقابل، في الجانب الفلسطيني برئاسة أبو مازن، تبرز درجة عجلة دنيا لضرورة البدء في المفاوضات.

يعمل الجانب الإسرائيلي انطلاقًا من اعتبار الحاجة إلى تخطيط عقلاني مستقبلي - وهي رؤية لا يتسم بها الجانب الفلسطيني الذي يريد أولًا وقبل كل شيء أن يحقق العدل التاريخي من خلال إعادة العجلة إلى الوراء. هذه العقدة أكثر تركيبًا نتيجة للادعاءات الإسرائيلية، وأيضًا منظور زمن الماضي الذي يضعهم في منطقة الماضي حينما يكون المعني هو مساحات زمن وعي ثقافية.

ووجود الجانبين في منطقة الماضي أمر غير مثمر من الناحية العملية ويصعب إيجاد حل. ذلك، لأن القدرة على حل المشاكل بصورة خلاقة، تتطلب من الطرفين التخلص من الماضي وتوجيه الوعي إلى المستقبل. وهكذا تحدث على سبيل المثال (Webber 1972)عن «تقدير الماضي» وعلى حد قوله، يجب على صناع القرار الاهتمام بالمستقبل وليس بالماضي، ولا يجب أن يؤثر الماضي على القرارات الخاصة بالمستقبل. التاريخ مليء بالنماذج التي تجسد كيف يؤدي التمسك بالعادات و«الانصياع» للماضي إلى نتائج محملة بالأخطار.

عبر عن التأثير المانع للماضي في عملية تبادل النماذج Paradigm Shift حينما يحاول أنصار النموذج القديم وضع العراقيل وسد الطريق على النموذج الجديد، الأفضل والأكثر جدوى من سابقه (Kuhn ,1962).

في مجال اتخاذ القرارات يحدد كلاين Klein: 1993 إستراتيجية شائعة تسمى Recognized Primed Decision قائمة على تنفيذ القرارات التي اتخذت في الماضي. تؤدي هذه الإستراتيجية في بعض الأحيان إلى تنفيذ قرارات لا تتسق مع الوضع الحالي وتؤدي إلى نتائج غير مرجوة.

هناك من الباحثين (Fisher, Ury & Bruce, 1991) من يعتقدون أنه يجب التوصل إلى نتيجة ناجحة ومتفق عليها في المفاوضات، تفرض على الأطراف التعامل معها. لكن الأمر ليس بسيطًا بالمرة. لقد قال أرسطو: إن النظرة إلى الماضي ترجع إلى أن منظور الزمن موجود فقط بحكم وجود ذاكرة؛ لأن من يملك قدرة ذاكرة قادر على أن يدرك انتقال الزمن (1941) Mckeon. وبالتالي، طالما توجد ذاكرة إنسانية يكون من غير الممكن تجنب مناظير زمن الماضي. ومن ناحية أخرى، لا بد من القول بأن تحقيق العدل التاريخي له أهمية قيمية لا يمكن إنكارها. لذلك، توجد أهمية لرفع ظلم الماضي، قبل أن نتقدم لحل المشاكل من خلال رؤية مستقبلية.

الخلاصة: لننس الماضي ونفتح صفحة جديدة ـ هل هذا ممكن؟

بعد الزمن له آثار كثيرة على تكون الصراعات وعلى إمكانية تسويتها. ونظرًا لأن الزمن يعد موردًا، خاصة في الثقافات «التكنو غربية»، ونظرًا لأنه يعتبر أحيانًا موردًا محدودًا ـ فقد تكون هناك صراعات ينبع جوهرها من مورد الزمن نفسه.

بعد الزمن له آثار مباشرة وغير مباشرة على خطوات المفاوضات وعلى احتمالات تسوية الصراعات. جزء من الآثار المباشرة مرتبط بأبعاد تبدو فنية، مثل معدل المفاوضات، والقدرة على الصمود أمام ضغط الزمن، والتعامل مع جداول أعمال، وغيره. لكن هذه الآثار تحظى ببعد عميق يكون أكثر حسمًا من الأبعاد الفنية البحتة، وهذا حينما نكون أمام فروق تعكس أنظمة مختلفة من الاعتقادات والدين والثقافة.

يمكن أن تشكل الفروق في التعامل مع الزمن، التي تعكس الفروق الدينية والثقافية، مانعًا وعائقًا يصعب الأمر على محاولات الحوار وإيجاد حل من كلا الجانبين اللذين يقفان في جهتين متقابلتين.

المشكلة الكامنة في فروق الثقافات والاعتقادات بشأن بعد الزمن غير واضحة للعيان، ولذلك يصعب على المشتغلين بتسوية الخلافات التعرف عليها وإيجاد حل لها. انعكاسات المشكلة على السطح تبدو أحيانًا، مرة أخرى، مشكلة فنية في الاتصال واستخدام مفاهيم الزمن في لغات الطرفين. لكن التحليل المتعمق يظهر أن المشكلة الاتصالية اللغوية ليست سوى قمة جبل الجليد البارزة فوق سطح «بحر الصراع»، بينما يغوص الجزء الحقيقي والقيمي للمشكلة عميقًا تحت الماء. لقد مثلنا في هذا الفصل مشكلة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني من خلال وضع مصطلح «هدنة» أمام مصطلح «تهدئة».

اقترحنا في هذا الفصل الرأي القائل بأن المانع العميق الذي يعوق جدًا تسوية الصراع، يعكس وضعًا تتصرف فيه من الجانبين ثقافات تعكس مناظير وتوجهات زمن تؤدي إلى مواجهة قيمية. وينشأ الوضع الأصعب لإحراز تقدم في تسوية الخلاف حينما يعرض الطرفان مناظير زمن ماض، أي، يغوص الصراع عميقًا في ماضيهم ولا يمكن أن يسير الحل على راحة الماضي. وفي ظل عدم وجود استعداد أو قدرة للتغلب على عبء الماضي، ومع انعدام منظور الزمن المهيمن الذي يوجه نحو المستقبل، يصعب إحراز تقدم في الطريق القائم على رؤية جاهزة «لحل المشاكل».

يدل تحليل تناول الزمن في الثقافة والدين الإسلامي من ناحية، والثقافة والدين اليهودي من ناحية أخرى، على أنه في الحالين يعنى بمنظور ديناميكي بين مناظير ماض ومستقبل، لكن منظور الماضي ما زال هو المهيمن، ويرجع ذلك بالأساس إلى تأثير الدين والتقاليد وذكرى أحداث النازي.

في هذا الوضع يدور جل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني في منطقة ماضي مساحة «زمن الوعي» للطرفين. هذا التصرف هو في كثير من الأحيان على مستوى اللا وعي، لكن تأثيره بالغ على السلوك الواضح والمعلن.

هذا التحليل لا يدع مجالًا كبيرًا لاحتمالات تحقيق حل ثابت ومقبول من الطرفين.

التناول الواعي والفكري لكلا الجانبين في كل ما يتعلق ببعد الزمن، مع محاولة فهم منظومة الاعتقادات والثقافات في الجانبين والإدراك الذاتي الذي يهدف إلى زيادة الوعي برؤية الزمن، يمكن أن يلعب دورًا في تقدمها.

وما من شك في أنه في أي محاولة لتسوية الخلافات على اختلافها، تظهر فائدة من التعامل السليم مع مواقف الأطراف وعلاقتها ببعد الزمن.